الصديق المثالي

يكتبها: **أحمد كمال زكي** ترسمها: **سحَر عبدالله**



دخل الجَدُّ على حفيده «نادر»، فوجده حزينًا، وعندما سأله عن سبب حزنه، قال بصوتٍ مخنوق: للأسف يا جدي.. لا أجد صديقًا مثاليًا كي أصادقه.

كان «نادر» في الصف الثاني الإعدادي، وكان وسيمًا، دقيق الملامح، جميل العينين، يحمل شَعرًا ناعمًا طويلًا، ويحب القراءة تقليدًا لجَدِّه الذي كانت عنده في بيته مكتبة كبيرة، قرأ كثيرًا من كتبها.. وكان «نادر» يفخر بأنَّ جَدَّه يكتبُ في بعض الصُّحف والمجلات للكبار والأطفال، وكلما نشر الجد شيئًا جديدًا، سارع «نادر» بعرضه على زملائه في المدرسة متفاخرًا بما كتب جدُّهُ المثقف، المشهور.

كان الجد يعرف أنَّ حفيده يُعاني من مشكلةٍ تتمثل في فقدانه لصديقه المقرَّب، بعد أن سافر والد صديقه إلى بلدٍ عربي شقيق واصطحب معه أسرته كلها، ومنذ ذلك اليوم و«نادر» يُعاني بسبب ابتعاد صديقه عنه، وقد حاول جدُّه غير مرَّة إقناعه بأنَّ ما جرى أمرٌ عادي، يحدث كثيرًا ولا يجب أن يؤثر على حياته بهذا الشكل السلبي، وأنه سيعثُر لا شك على صديقٍ آخر، ربما يحبه ويحترمه أكثر من صديقه الذي سافر.. وعندما وجد عدم اقتناع يطلُّ من عينَي حفيده، قال له إنَّ صديقه لن يبقى العمر كله في الغربة، وإنَّ والده سيعود إلى وطنه حتمًا، ووسائل الاتصال والتواصل الحديثة تلغي الحدود الجغرافية وتُبقي على التواصل الإنساني لمَن يريد، وإنه يستطيع



التواصل مع صديقه كل يوم، بل كل ساعة لو أراد.. لكنَّ كلام الجد لم يُقنع «نادر»، الذي بدأ رحلة البحث عن صديقٍ جديدٍ، بشرط أن يكون صديقًا مثاليًّا.. وطالت رحلة البحث عن الصديق المثالي!

فكَّر الجد في أفضل ردٍّ يُمكن أن يقوله لحفيده، فلم يجد سوى أن يسأله عن مواصفات الصديق المثالي الذي يبحث عنه، فردَّ «نادر» بحماس، وكأنه كان ينتظر سؤال جدِّه: أن يكون صادقًا، لا يخدع صديقه، وأن يساعده حين يحتاج إلى مساعدته، وأن يصدُقه في النُّصح، ويكون أمينًا ولا يتعمَّد مضايقة صديقه ولا..

قاطعهُ جدُّه، قائلًا والابتسامة تعلو شفتيه: جميل كل هذا.. ولكن أتريد أن تُقنعني أنَّ كلَّ مَن حولك في المدرسة ليس فيهم مَن تجد فيه هذه الصفات.. أو حتى بعضها؟

ردَّ «نادر» بأسى: للأسف يا جدي.. لم أجد شيئًا منها.

تجهَّم وجه الجد وهو يفكر في طريقة لحلِّ مشكلة حفيده، ما أقلق «نادر» ودفعه إلى سؤال جدِّه عن سبب تجهُّمه، لكنَّ الجد سارع برسم ابتسامةٍ على وجهه ليدفع القلق عن حفيده، قبل أن يقول: اسمع يا «نادر».. سأحكي لك حكاية مسلية، ربما تجد فيها ما يُساعدك على إيجاد الصديق المثالي الذي تبحث عنه وتحزن لعدم العثور عليه..

بفضولٍ قال «نادر»: احكِ لي هذه الحكاية يا جدّي..



أنت تعرف كم أحب حكاياتك الممتعة!

نظر إليه الجد والابتسامة تملأ وجهه، ثم بدأ يحكي فقال بصوتٍ رخيمٍ:

يُحكى أنه كان هناك تاجر كبير في قديم الزَّمان، فَقَدَ صديقًا عزيزًا.. كان بمثابة الصديق الوحيد له في الدنيا، ولم يستوعب فكرة فقْد صديقه، ولم يحتمل الحياة بدون صديقٍ حقيقيٍّ.. فأطلق مناديًا يُعلن عن مكافأةٍ ضخمة لمَن يصلح صديقًا مثاليًّا لشهبندر التجار، وحذَّر مَن لا يثق في نفسه بأشد الجزاء، حتى لا يحضر إليه إلا مَن يثق في أنه يصلح لأن يكون الصديق المثالي المطلوب. ومرَّت الأيام، والأسابيع، والشهور، دون أن يأتي أحد، أو يعثر شهبندر التجار على الصديق المثالي الذي يريده، فشعر بالحزن الشديد، واستدعى حكيم المدينة، وقال له بأسى: أرأيت أيها الحكيم؟ هل يمكن أن تخلو المدينة بطولها وعرضها من صديقٍ مثالي؟.. إنني لن أجد مثل صديقي الراحل أبدًا.

كان الحزن يعتلي صوته حتى كاد يختنق بالدموع، فصمت متوقعًا أن يُعلِّق الحكيم على كلامه.. لكنَّ الصمت هو الذي ردَّ عليه، فسأل الحكيم بغضبٍ: لماذا لا ترد عليَّ أيها الحكيم؟ أتتجاهل كلامي؟

خاف الحكيم من غضب التاجر، فتنحنح، ثم قال بصوتٍ عميقٍ: يا شهبندر التجار.. إنَّ مدينتنا عامرة بالأصدقاء المثاليين، الأوفياء، لكنهم يخشون التقدُّم إليك والتقرُّب منك.

سأله بدهشة: لماذا أيها الحكيم؟!

قال الحكيم: لأنك وعدتَ بجائزةٍ كبرى لمَن يفوز بصداقتك، ولكنَّك في الوقت نفسه أطلقتَ وعيدًا بالعقاب.. وأنت يا سيدي معروف بالشدة، لذلك أمسك الجميع عن التقدُّم.. والحقيقة يا سيدي...

وصمتَ الحكيم، فطلب منه كبير التجار أن يُكمل كلامه، فتحدَّث الحكيم بارتياحٍ أكبر، وقال: الحقيقة أنَّ الصداقة لا تُباع ولا تُشترى، وأن الصديق المثالي الذي تبحث عنه، قد يكون أقرب إليك من نفسك، ولكن عليك يا سيدي أن تبحث عن هذا الصديق المثالي داخل نفسك، قبل أن تبحث عنه في مكان آخر!

نظر إليه كبير التجار بتجهُّمٍ، وقال: اشرح ما تقصد أيها الحكيم.

قال الحكيم: أنت تبحث عن الصديق المثالي من وجهة نظرك، وهذا أمر ليس في يدِ أحدٍ التأكُّد منه، لأنَّ الصديق المثالي تُظهر معدنه المواقف الصعبة التي تمر به وبصديقه، أما الذي يستطيع أن يفعله أي شخص، فهو أن يبدأ بنفسه، ويَصدُق مع نفسه، ويكون صديقًا مثاليًّا للآخرين.. ولا شك أنه سيحصل على ما يريد، بل ما يستحق، بعد ذلك.

أطرق شهبندر التجار مُفكرًا في كلام الحكيم، ثم نظر إليه وقال بصوتٍ هادئ: أصبتَ أيها الحكيم.. إنني أبحث عن صديقٍ مثالي، بينما لا أفكر فيما إذا كنت أنا أصلح لأن أكون هذا الصديق أم لا.. حقًّا لقد أصبتَ يا حكيم مدينتنا.

تنهَّد كبير التجار بارتياح، وكأنه وجدَ ما يبحث عنه، ثم أمَر للحكيم بالجائزة التي كان قد خصَّصها للصديق المثالي المُنتظر، وبدأ في تنفيذ ما أشار عليه به الحكيم.

انتهى الجَدُّ من حكايته، فوجد حفيده شاردًا، وكأنه يحاول إدراك ما وراء الحكاية، فابتسم الجد وقال: ألم تفهم المغزى بعدُ يا حفيدي العزيز؟

قال «نادر» بصوتٍ هادئ: بل فهمته يا جدّي.. وسأفعل كما فعَل تاجر حكايتك الجميلة.. ومن الغد لن أبحث عن الصديق المثالي، قبل أن أتأكد من قُدرتي على أن أكون هذا الصديق لغيري.

ابتسم الجد بزهوٍ، واحتضن حفيده الذكي، مؤكِّدًا له أنه سيجد هذا الصديق بأسرع ممَّا يتخيَّل.

تمت

